

إن الله تعالى هو المتفرد بالخلق والاختيار كما قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: 68]، والمراد بالاختيار هنا هو الاجتناء والاصطفاء، فالله - جل وعلا - لكمال حكمته وقدرته ولتمام علمه وإحاطته يختار من خلقه ما يشاء من الأوقات والأمكنة والأشخاص فيخصصهم سبحانه بمزيد فضله وجزيل عنايته ووافر إنعامه وإكرامه، وهذا بلا ريب من أعظم آيات ربوبيته وأكبر شواهد وحدانيته وكمال صفاته، وهو من أبين الأدلة على كمال قدرته وحكمته وأنه يخلق ما يشاء ويختار وأن أزمّة الأمور بيده؛ فله الأمر من قبل ومن بعد، يقضي في خلقه ما يشاء ويحكم فيهم بما يريد ﴿قُلْ لِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [36] وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجاثية: 36-37].

وإن مما خص الله عز وجل من الأوقات بمزيد تفضيله ووافر تكميمه شهر رمضان حيث فضّله سبحانه على سائر الشهور، والعشر الأواخر من لياليه حيث فضلها على سائر الليالي، وليلة القدر حيث جعلها لمزيد فضلها عنده وعظيم مكانتها لديه خيراً من ألف شهر، وفخّم أمرها وأعلى شأنها ورفع مكانتها عندما أنزل فيها وحيه المبين وكلامه الكريم وتنزله الحكيم هدى للمؤمنين وفرقاناً للمؤمنين وضياء ونوراً ورحمة للعالمين.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبْرُكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ [3] فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ [4] أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ [5] رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [6] رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ [7] لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الدخان: 3-8].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ [1] وَمَا أَذْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ [2] لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ [3] تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ [4] سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [سورة القدر].

فله ما أعظمها من ليلة وما أجلها وأكرمها، وما أوفر بركتها:

❖ **ليلة واحدة خير من ألف شهر!!** ومعنى ذلك أنها خير من ثلاثين ألف ليلة، وألف شهر تزيد على ثلاثة وثمانين عاماً فهو عمر طويل لو قضاه المسلم كله في طاعة الله عز وجل، فليلة القدر وهي ليلة واحدة خير منه وهذا فضل عظيم. قال مجاهد: «ليلة القدر خير من ألف شهر ليس في تلك الشهور ليلة القدر»، وهكذا قال قتادة والشافعي وغير واحد.

❖ **وفي هذه الليلة الكريمة المباركة**، يكثر تنزل الملائكة لكثرة بركتها، فالملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة كما يتنزلون عند تلاوة القرآن وفي خلق الذكر.

❖ **وهي سلام حتى مطلع الفجر** يعني أنها خير كلها ليس فيها شر إلى مطلع الفجر.

❖ **وفي هذه الليلة الكريمة المباركة**، يُفرق كل أمر حكيم أي يقدر فيها ما يكون في تلك السنة بإذن الله العزيز الحكيم، والمراد بالتقدير أي التقدير السنوي، أما التقدير العام في اللوح المحفوظ فهو متقدّم على خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة كما صحت بذلك الأحاديث، وقد ثبت عن النبي ﷺ في فضل ليلة القدر أنه قال: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(١).

وليلة القدر هي قطعاً في شهر رمضان المبارك لقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: 185] مع قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وهي أرحى ما تكون فيه في العشر الأواخر منه لقوله ﷺ: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ»^(٢)، وطلبها في أوتار العشر أكد لقول النبي ﷺ: «الْتِمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي تَاسِعَةٍ تَبْقَى فِي سَابِعَةٍ تَبْقَى فِي خَامِسَةٍ تَبْقَى»^(٣).

قال ابن حجر في الفتح: تحت (بَابُ تَحَرِّيِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ فِي الْوَتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ): "في هذه الترجمة إشارة إلى رُجْحَانِ كَوْنِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ مُنْخَصَرَّةً فِي رَمَضَانَ، ثُمَّ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْهُ، ثُمَّ فِي أَوْتَارِهِ لَا فِي لَيْلَةٍ مِنْهُ بَعِيْنَهَا، وَهَذَا هُوَ الَّذِي يُدَلُّ عَلَيْهِ مَجْمُوعُ الْأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ فِيهَا" اهـ.

وقد ذكر العلماء أن من حكمة إختفائها وعدم تعيينها في النصوص: أن يجتهد المسلمون في جميع العشر بطاعة الله تعالى بالتهجد وقراءة القرآن والإحسان، ولتبيين بذلك النشيط والمجد في طلب الخيرات من الخامل الكسلان، ولأن الناس لو علموا عينها لاقتصر أكثرهم على قيامها دون سواها، ولو علموا عينها ما حصل كمال الامتحان.

إن الواجب علينا جميعاً أن نحرص تمام الحرص على طلب هذه الليلة المباركة لنفوز بثوابها ولنغتم من خيرها ولنُحَصِّلَ من أجورها، فإن المحروم من حُرْمِ الثواب ومن تمر عليه مواسم المغفرة ويبقى محملاً بذنوبه بسبب غفلته وإعراضه وعدم مبالاته؛ فطوبى لمن نال فيها سبق الفائزين، وسلك فيها بالقيام وحسن العمل سبيل الصالحين، وويل لمن